# جهود مقادسة الصالحية في النساخة
# مجاميع المدرسة العمرية مثالًا

**د. نزار أباظة**(*)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

**المحتوى:**

- مقدمة: المقادسة في الصالحية.
- نشأة المدرسة العمرية وتطورها.
- مجاميع العمرية.
- النساخ.
- خلاصة ونتائج.

في منتصف القرن السادس الهجري (وعلى التحديد عام ٥٥١هـ/ ١١٥٦م) نزل دمشق جماعة جاؤوها من قرية جَمَّاعيل من أعمال نابلس، برئاسة أحمد بن قدامة، هروبًا من ظلم الفرنجة وأشياعهم. ومن أجل ألا يكونوا عالة على أحد، اختاروا سفح جبل قاسيون شماليّ دمشق في منطقة موحشة منقطعة فعمروها،

(*) عضو مراسل في مجمع اللغة العربية بدمشق. باحث ومحقق.
ورد إلى مجلة المجمع بتاريخ ٢٢/ ٥/ ٢٠٢٤م.

وأقاموا فيها مجتمعًا حضاريًّا، سمي الصالحية إما لصلاحهم، وإِمَّا لإقامتهم أولًا في مسجد أبي صالح، ثم عرفوا بالمقادسة[١].

ووشيكًا ما، توفي رئيس الجماعة، أحمد بن قُدامة فآلت الرسالة إلى ابنه محمد بن أحمد بن قدامة (أبي عمر) (٥٢٨-٦٠٧هـ)، فكان أوَّلَ ما اهتمَّ به على فقره وفقر الجماعة إنشاءُ المدرسة التي بدأ ببنائها سنة ٥٥٧هـ/ ١١٦١م، وعرفت بكنيته (المدرسة العمرية). واشتهرت بها على الأيام.

أنشئت المدرسة أولًا لتعليم المذهب الحنبلي مذهب الجماعة الوافدين، ثم توسعت لتعليم المذاهب الأربعة والعلوم الشرعية كلها. وتوسع كذلك بناؤها حتى شملت مسجدًا صغيرًا وفسحة سماوية، إضافة إلى ٣٦٠ خلوةً كبيرةً وصغيرةً، وروضةٍ للأطفال، وقسمٍ لتعليم العميان.

درَّس في هذه المدرسة الجامعة علماء المقادسة الذين جاؤوا مع الشيخ أحمد بن قدامة وابنه أبي عمر وأسرتهما وأقربائهما، ثم انضم إليهم كثير من علماء دمشق والعلماء الوافدون عليها، حتى بلغ ما كانوا يعلّمونه في الساعة الواحدة خمسين حصة دراسية.

وازدهرت المدرسة حتى ازدحم عليها الطلاب والمدرسون، وحتى كان النازلون بها من هؤلاء وأولئك نحوًا من ألف نفس أو ما يقارب ذلك في وقت واحد، ينفق على حاجاتهم كلها أهلُ الخير ليتفرغوا للعلم.

وقد اهتم المقادسة بتعليم البنات، فنبغ منهنَّ عالمات كبيرات قصدهن

(١) نزلوا أول الأمر في مسجد أبي صالح خارج الباب الشرقي (البداية والنهاية١٧/ ٢٠)، (القلائد الجوهرية١/ ٧٦)؛ إذ كان مسجدًا موقوفًا على الحنابلة، ولهم فيه حق أو بعض حق، لكنهم تضرروا بوباء أصابهم ولا سيَّما أولادهم (القلائد، السابق) كما استوخم المسجدُ عليهم وآذاهم، فانتقلوا إلى سفح قاسيون (السابق١/ ٧٩).

طلاب العلم من الآفاق للقراءة عليهن، فضلًا عن القراءة على الشيوخ[٢].

وسريعًا ما اهتم أبو عمر بإحداث خزانة كتب ليرجع إليها الطلاب وتكون بين أيدي المدرسين.

بدأت المكتبة بالكتب التي أوقفها عليها أبو عمر مما كان ينسخه بخطه، وكان من الكَتَبَةِ المتقنين، وربما نسخ في اليوم الواحد كراسين بالقطع الكبير[٣]، وكتب لها مصاحف وكتاب الخِرقي[٤]. وكتاب المغني لأخيه الموفق[٥] وتفسير البغوي[٦] وكتاب حلية الأولياء لأبي نُعيم[٧] وغيرها، وقدمها للطلاب لقراءتها في حِلَقِ العلم. وربما كتب أبو عمر للطلاب المبتدئين نسخًا من كتاب

(٢) لمعرفة أحوال المقادسة المهاجرين وسيرة أبي عمر وآل قدامة، والمدرسة العمرية ينظر كتاب القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية، وكتاب المدرسة العمرية وفضائل مؤسسها، والجوهر المنضد في طبقات متأخري أصحاب أحمد، والدارس في تاريخ المدارس، والنعت الأكمل.

(٣) الكراس عشر ورقات. والقطع الكبير يعادل ٢٨×٣١ سم بقياس اليوم.

(٤) الخِرَقي، عمر بن الحسين (-٣٣٤هـ) فقيه حنبلي من أهل بغداد نسبته إلى بيع الخِرَق. توفي بدمشق. له تصانيف احترقت، وبقي منها المختصر في الفقه (وفيات الأعيان ١/ ٣٧٩، طبقات الحنابلة ٢/ ٧٥، الأعلام ٥/ ٤٤).

(٥) الموفق، عبد الله بن أحمد بن قدامه الجَمَّاعيلي المقدسي (-٦٢٠هـ) من أكابر فقهاء الحنابلة وأئمة العلماء، ولد في جَمَّاعيل من أعمال نابلس، وتعلم بدمشق، وبها توفي. شرح كتاب الخرقي بكتابه المغني أوسع كتب المذهب، في ١٥ مجلدًا وعليه اعتماد الحنابلة (مختصر طبقات الحنابلة، البداية والنهاية ١٣/ ٩٩، شذرات الذهب ٥/ ٨٨).

(٦) البَغَوي، الحسين بن مسعود، (-٥١٠هـ) فقيه محدث مفسّر، نسبته إلى بغا في خراسان، واهتمام المقادسة الحنابلة بتفسيره «لباب التأويل في معالم التنزيل» (الأعلام ٢/ ٢٥٩) لأنه يعتمد إيراد التفسير بالسند الذي يعنون به بكونهم أصحاب حديث.

(٧) أبو نعيم، أحمد بن عبد الله (-٤٣٠هـ) حافظ مؤرخ. من الثقات في الحفظ والرواية (الأعلام ١/ ١٥٧).

الخرقي المذكور الذي كان يحفظه ويكتبه من حفظه[٨].

وتطورت المكتبة العمرية مع الأيام، وكبرت حتى كان لكل علم من العلوم خزانة خاصة به، يشرف عليها عالم متخصص بذلك العلم، وحتى بلغ عدد ما فيها في القرن السابع الهجري/ الثاني عشر الميلادي نحو ألف مجلدة، وهذا عدد كبير في ذلك الوقت، فضلًا عما كان بين أيدي الطلاب من كتب خطية خاصة بهم[٩].

وهذا العدد المشار إليه إنما هو في مرحلة تراجع المدرسة؛ إذ كان عدد كتبها أضعاف هذا العدد في وقت ازدهارها؛ فلقد قال الشيخ محمد دهمان: «كانت العمرية من أهم مكتبات دمشق وغيرها من مكتبات البلاد الإسلامية. اجتمع فيها أهم الكتب المتخصصة، وكان كثير ممن يدرّس فيها أو يتعلم أو يؤلف كتابًا إلا أوقفه على المدرسة حتى اجتمعت فيها ألوف الكتب التي قلما يخلو كتاب فيها من إجازات وسماعات بخطوط العلماء مما يجعل لها قيمة علمية وأثرية[١٠].

وضمَّت العمرية مع الأيام عدة خزائن من الكتب التي وقفها العلماء، أعظمها كتب السيد الحسيني[١١]، وكتب الشيخ قوام الدين الحنفي[١٢]

(٨) انظر المدرسة العمرية ٣٧٨. والكتب المذكورة تلقي ضوءًا على ثقافة الحنابلة عمومًا، واهتماماتهم.

(٩) المدرسة العمرية ٣٧٨.

(١٠) مقدمة محمد أحمد دهمان لكتاب القلائد الجوهرية.

(١١) عبد الوهاب بن عمر قاضٍ فقيه، استقر بدمشق، وتوفي بمكة سنة ٨٧٥هـ. وقف كتبه على العمرية، ومنها القاموس المحيط بخطه الحسن (الضوء اللامع ٥/ ١٠٦).

(١٢) قوام الدين بن عبد الله الرومي الحنفي عالم فاضل مات بدمشق سنة ٨٠٨هـ (الضوء اللامع ٦/ ٢٢٥).

وكتب شمس الدين البانياسي[١٣]، وكتب جمال الدين بن عبد الهادي[١٤].

كما وضع أولاد أبي عمر وحفدته مؤلفاتهم فيها، حتى حوت نوادر ونفائس. وقيل: كان فيها مصحف بخط الإمام علي[١٥].

وفوق هذا فإن دار الحديث الضيائية التي أنشأها الضياء المقدسي[١٦] أخذت بالاضمحلال، فآلت كتبها إلى العمرية، وكانت تضم نوادر المؤلفات، وحوت خطوط أئمة المذاهب الفقهية الأربعة ونسخة من التوراة، وأخرى من الإنجيل بالخط العبري والسُّرياني.

أخذت المدرسة العمرية تتردى مع الأيام، ونالت منها أيدي السُّرَّاق، وتعرضت للإهمال، حتى لقد جاء جماعة من النجديين بالجزيرة العربية، فأخذوا منها أربعة أحمال جمال[١٧] من الكتب، وبقيت منها مع ذلك بقية

(١٣) محمد شمس الدين بن أحمد البانياسي إمام دار القرآن الدلامية وشيخها، قتل بالزاوية الداودية سنة ٩٢١هـ (الدارس ١/ ١٠، الكواكب السائرة ١/ ٨٥).

(١٤) جمال الدين، يوسف بن الحسن بن عبد الهادي الصالحي (-٩٠٩هـ)س الشهير بابن المبرد علامة من فقهاء الحنابلة، له كتب كثيرة جدًّا (السحب الوابلة ٣/ ١١٦٥ الأعلام ٨/ ٢٢٥).

(١٥) فهرس مجاميع العمرية، مقدمة فهرس مجاميع العمرية ص٨، المدرسة العمرية ٣٧٨.

(١٦) الضياء المقدسي، محمد بن عبد الواحد مؤرخ محدث ولد، وتوفي بدمشق. بنى مدرسته بسفح قاسيون شرقي الجامع المظفري، ووقف بها كتبه رحل إلى بغداد، فأخذ عن أكثر من ٥٠٠ شيخ. (-٦٤٣هـ) الأعلام ٦/ ٢٥٥، وانظر القلائد الجوهرية ١/ ١٢، ومجلة المجمع العلمي العربي ١٣/ ٣٢١.

(١٧) وذلك بعد أن رشوا بالمال ناظرها، وحملوها ليلًا إلى دار أحد الحنابلة في دمشق، فاختلس هذا نصفها، وذهب النجديون بالباقي إلى بلدهم، وأعقب هذه الحادثة عدة حوادث مثلها أثارت ضجة دمشق (في رحاب دمشق ٥٤). وقال الزركلي في ترجمة يوسف بن حسن (-٩٠٩هـ) إنه رأى كتابه «مغني ذوي الأفهام عن الكتب الكثيرة في الأحكام» في الرياض. الأعلام ٨/ ٢٢٥.

صالحة، لا يلتفت إليها أحد في زمن الجهل والتأخر.

في أواخر أوائل القرن الرابع عشر الهجري / أواخر القرن التاسع عشر الميلادي تنبه ثُلَّةٌ من علماء دمشق على رأسهم الشيخ طاهر الجزائري (-١٣٣٨هـ/ ١٩٢٠م) إلى أهمية ما بقي من كتب العمرية، فعملوا بعد مشقة وجهد لنقلها إلى دار الكتب الظاهرية المحدثة سنة ١٢٩٨هـ[١٨].

تأتي أهمية المكتبة في المدرسة العمرية من قيمتها العلمية والأثرية كما قال الشيخ محمد دهمان[١٩].

وما بقي منها يستحق الدراسة العلمية، وهذا البحث يقف عند مجاميع هذه المدرسة، وعلى الأخص عند الكَتَبَة الذين تولوا نسخ تلك المجاميع.

نقل من مخطوطات العمرية إلى الظاهرية ٦٦٢ مخطوطة، تشتمل على ١٤٨ مجموعًا، تتضمن تلك المجاميع ١٧٤٥ كتابًا أو رسالة.

وبالحسبة الرياضية إذا عددنا ما في تلك المجاميع من رسائل أو كتب فإن الخطّيات فيها على النحو الآتي:

٦٦٢ مخطوطة -١٤٨ مجموعًا= ٥١٤، هو عدد الكتب ما عدا المجاميع.

٥١٤ كتابًا+ ١٧٤٥ عدد رسائل المجاميع= ٢٢٥٩ خطية.

إذن فعدد عناوين الخطيات بما فيها المكررات تساوي ٢٢٥٩ مخطوطة.

هذا العدد المحدود الذي بقي من مخطوطات العمرية يدل على وجود عدد كبير من النساخ الذين دأبوا على الكتابة. والنساخ إما متبرعون بالكتابة

(١٨) دار الكتب الظاهرية ٤٢. والشيخ طاهر الجزائري بحاثة من أكابر العلماء باللغة والأدب في عصره، جزائري الأصل، من أعضاء المجمع العلمي العربي يوم تأسيسه. يعد من أركان النهضة الحديثة (الأعلام ٣/ ٢٢١، تاريخ علماء دمشق للقرن الرابع عشر الهجري ١/ ٣٩٨).

(١٩) مقدمة القلائد الجوهرية.

عمومًا، وإما آلت كتبهم بخطوطهم للعمرية.

وباستعراض أعداد ناسخي المجاميع فحسب تبين أنهم:

- ٢٦٥ ناسخًا.
- والناسخون من المقادسة ٢٨ ناسخًا.

وممن توفر على الكتابة من المعروفين المشاهير في المجاميع (الباقية) على النحو الآتي:

١- علي بن الحسن بن عساكر (-٥٧١هـ) صاحب تاريخ مدينة دمشق، له ١٥ نسيخة (وهو من غير المقادسة).

٢- عبد الغني بن عبد الواحد (-٦٠٠هـ)[٢٠] المحدث، نسخ كثيرًا جدًّا من كتب العمرية، بقي منها اليوم ٥٨ نسيخة.

٣- محمد بن أحمد بن قدامة أبو عمر صاحب المدرسة ومؤسسها (-٦٠٧هـ) كتب كثيرًا، كما أشرنا آنفًا، إلا أن ما نسخه ضاع كله.

٤- الموفق المقدسي عبد الله بن محمد بن قدامة (-٦٢٠هـ)[٢١] فقيه من أكابر الحنابلة، له ٢٢ نسيخة.

٥- الضياء المقدسي محمد بن عبد الواحد (-٦٤٣هـ)[٢٢] المؤرخ الحافظ، له ٧٢ نسيخة.

٦- ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم شيخ الإسلام (-٧٢٨هـ) له ١٠ نسائخ.

---

(٢٠) صاحب كتاب الكمال في أسماء الرجال.

(٢١) صاحب كتاب المغني ١٠ أجزاء. من أهم كتب الحنابلة، شرح به مختصر الخِرَقيّ المتن المعتمد لديهم.

(٢٢) صاحب الأحاديث المختارة ٩٠ جزءًا.

٧- ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد الحنبلي[٢٣] (-٧٩٥هـ) الفقيه الحافظ له نسيخة واحدة.

٨- محمد بن عبد المنعم بن عمار الحراني الحنبلي (-٦٧١هـ) له ٣٧ نسيخة في المجاميع.

٩- الذهبي، محمد بن أحمد (- ٧٤٨هـ)[٢٤] الحافظ المؤرخ المحقق، له في المجاميع نسيختان.

١٠- يوسف بن عبد الهادي، جمال الدين ابن المبرد (-٩٠٩هـ)، له في المجاميع ١٤ نسيخة[٢٥].

شرح حديث إنما الأعمال بالنيات لابن تيمية بخطه

مجموع رقم ٣٨٢٧ عام مجاميع ٩١.

(٢٣) صاحب كتاب جامع العلوم والحكم شرح الأربعين النووية، وهو من أجلّ كتبه.

(٢٤) صاحب تاريخ الإسلام الكبير ٣٦ مجلدة.

(٢٥) قال الزركلي: ومعظم ما سميتُ من كتبه، وهو كثير، محفوظ بخطه في الظاهرية (الأعلام ٨/ ٢٢٥).

من كتاب الروح لابن قيم الجوزية بخط إبراهيم بن محمد المقدسي

مجموع رقم ٣٨٧٤ عام مجاميع ١٣٩.

أمالي ابن بشران مجلسان بخط عبد الغني المقدسي

مجموع رقم ٣٨٥١ مجاميع ١١٥.

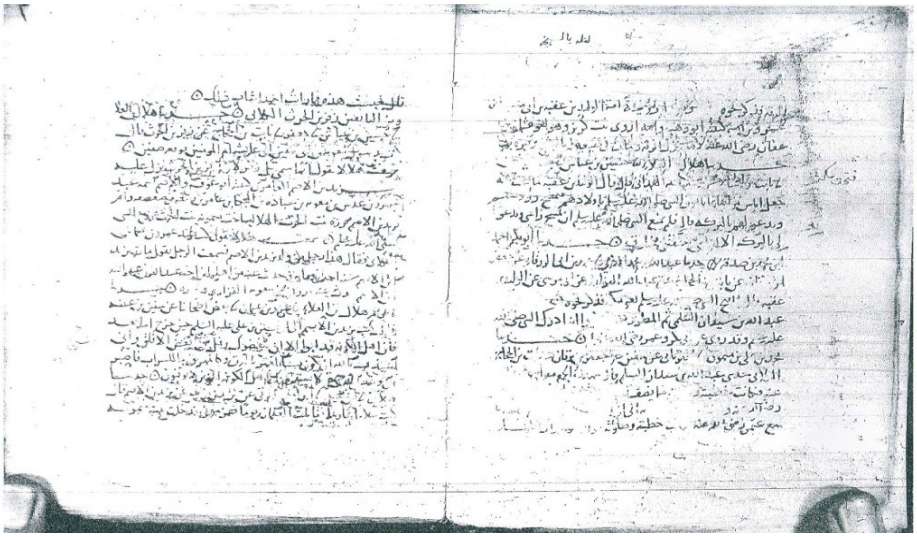

كتاب الدعاء للضبي الكوفي بخط ابن عساكر
مجموع رقم ٣٧٧١ عام مجاميع ٣٤.

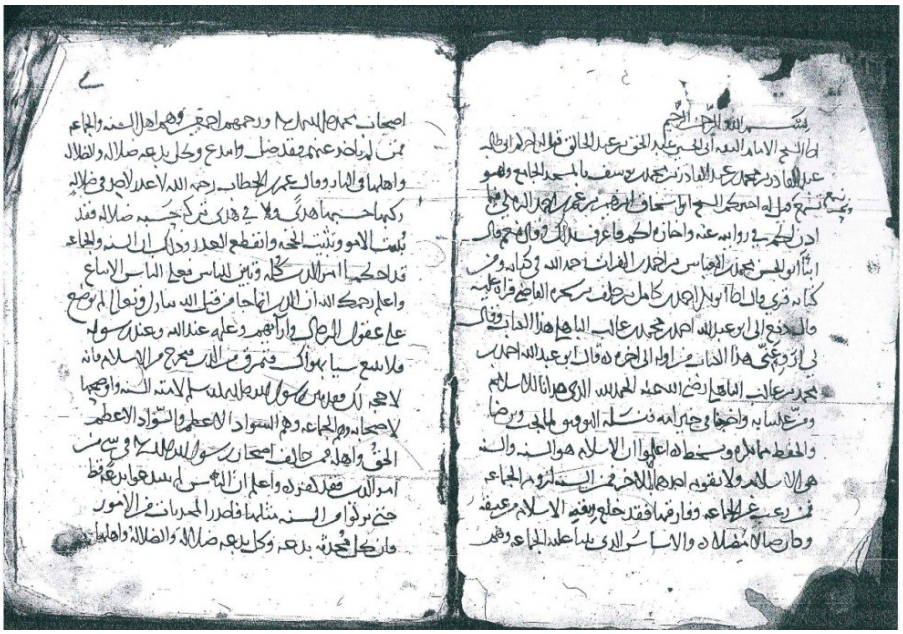

كفاية المفتي لابن عقيل بخط الحافظ عبد الغني المقدسي
المجموع رقم ٣٧٥٠ عام مجاميع ١٣.

**ملحوظات على النِّساخة في مجاميع العمرية:**

١ – أدرك المقادسة أهمية تزويد مكتبة العمرية، فكان كبارهم يسعون لتزويدها عن طريق النسخ.

٢ – نجد في النساخ المقادسة علماء مشهورين أصحاب مؤلفات كما رأينا، هم من علماء العصر مما يدل على أهمية ما في كتب المدرسة العمرية.

٣ – المكثرون من النساخ هم من المقادسة ومن شايعهم من الحنابلة.

٤ – لما كان اهتمام المقادسة بالحديث وعلومه كان انشغالهم قد انصبَّ على نسخ الأجزاء الحديثية، مما يندر وجوده في خزائن كتب أخرى. ويظهر من استعراض رسائل المجاميع أنَّ فيها نسائخ كثير من المخطوطات الفريدة.

٥ – ظهر اهتمام المقادسة بالأخلاق؛ فإن النَّسخ كذلك اشتمل على المواعظ والسِّير والتاريخ. ولهذا دلالته.

٦ – شهرة المقادسة في جمع الكتب جعلت أصحابهم يقومون معهم على النسخ من أمثال ابن تيمية، وابن هامل الحراني والحافظ الذهبي وابن الأنماطي وابن عروة وعلي بن سالم بن سلمان العرباني وغيرهم كثير.

٧ – لم نجد في نُسّاخ المجاميع اسمًا لامرأة واحدة مع أنّ العالمات في الصالحية كثيرات، شُدّت إليهن الرحال، وأقرأن الرجال. فهل نسخن أجزاء ثم اختفت منسوخاتهن؟[٢٦] أم هناك أسباب أخرى؟

٨ – عَمَلُ النساخ في كتب الوقف على العمرية إنما كان حسبة لله من غير أجر، فالذين كتبوا عن المدرسة العمرية من أمثال ابن طولون لم يشر

(٢٦) ومن مكانتهن العلمية أن شيخ الإسلام ابن تيمية ( –٧٢٨هـ) أخذ عن أربعين شيخة من النساء (في رحاب دمشق ٤٣). وأخذ ابن طولون كذلك عن خمس وعشرين شيخة.

إلى أي كاتب تناول أجرة على عمله؛ ذلك لأن عطاءات الوقف لم تترك حاجة لناسخ من طلاب العلم والمدرسين.

٩- لعل الرغبة في الأجر هي التي تدفع طلاب العلم والمدرسين إلى النسخ وابتغاء ثواب الله في الصدقة الجارية.

١٠- لم تكن النِّساخة في كتب المدرسة العمرية حرفة يرتزق منها النساخ، وإنما كانت هدفًا لمن وجد خطه فيها.

**وبعد**

فهذه إضاءة على جانب من الملاحظات على مجاميع العمرية ينسحب كذلك على بقية كتبها.

* * *

## المصادر والمراجع


- الأعلام، (١-٨)، لخير الدين الزركلي، بيروت، دار العلم للملايين، ط١٢، ١٩٩٧م.
- البداية والنهاية، لابن كثير (١-٢١) تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، القاهرة، دار هجر ١٤١٤هـ/ ١٩٩٨م.
- الجوهر المنضد في طبقات متأخري أحمد، لابن عبد الهادي، تحقيق عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، الرياض، مكتبة العبيكان، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
- الدارس في تاريخ المدارس (١-٢)، لعبد القادر النعيمي، تح جعفر الحسني، دمشق، مجمع اللغة العربية، ١٩٤٨م.

- السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة لابن حميد ١/ ٣، دمشق، مؤسسة الرسالة ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (١-١٢)، لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي مصر، ١٣٥٣-١٣٥٥هـ.
- طبقات الحنابلة (١-٢)، لابن أبي يعلى، مصر، مطبعة الفقهي، ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م.
- فهرس مجاميع المدرسة العمرية لياسين السواس، الكويت، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.
- في رحاب دمشق لمحمد أحمد دهمان، دمشق، دار الفكر، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
- القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية (١-٢)، لمحمد بن طولون الصالحي، تح محمد أحمد دهمان، دمشق، مجمع اللغة العربية، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م.
- الكواكب السائرة في أعيان المئة العاشرة، لنجم الدين الغزي، تحقيق جبرائيل سليمان جبور، بيروت، نشره محمد أمين دمج وشركاه، ١٩٤٥م.
- المدرسة الظاهرية (دار الكتب الوطنية)، لأسماء الحمصي، دمشق، مجمع اللغة العربية، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.
- المدرسة العمرية بدمشق وفضائل مؤسسها أبي عمر بن أحمد المقدسي الصالحي، تح: محمد مطيع الحافظ، بيروت، دار الفكر المعاصر، دمشق، دار الفكر، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
- النعت الأكمل لأصحاب الإمام أحمد بن حنبل، لمحمد كمال الدين الغزي، تح: محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة. دمشق، دار الفكر، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

* * *